Abstract

Scale values in the Quran between ignorance and Islam

Quran is integrated way of life, emerges it is morals and acts of worship and rituals of his faith. It is origin and others are branches, and then make it a measure of the fortunes of the people and the values of life, and put other valus of life, and other standards, and which is b on the basis of the fatalities. This research includes a prelude and four topics:

First topic: the value of faith. We dealt with the timeless truth that Quran lays the bases of it and approved in life. Neither paternity nor relationship and wedlock about on the basis of marital faith.

The second topic: the value of wealth and money. We showed in it when Islam came to eliminate ignorance and settle differences between people before God. There is no Calculus in money, color and sex.

The third topic: the value of governance and the Sultan. This value represented by the King and his wealth of manifestations of wealth, ornamental and heirlooms, that disposal the souls from pinpointing what it is, But the Qur'an between real measurements of the forces and values, there is no force in existence with the power of God, and there is no value in universe except the value of faith.

The fourth topic: the value of science. Scientists function in human life is that they guided mankind on the way to God. If scientists become corrupt they become big temptation and spoiled many creaters with them.

توطئة

القرآن منهج حياة متكامل ، تنبثق أخلاقه وعباداته وشرائعه من عقيدته. فهي الأصل وماعداها فروع ، ومن ثم جعلها مقياساً لأقدار الناس وقِيَم الحياة، ووضع مادونها من قيم ، وماعداها من مقاييس ، وماقام على غير أساسها من أقدار. وانطلاقاً من هذا التصور الشامل الكامل ، وبياناً لحقيقة القيم البشرية في هذه الحياة، بين النظرة الجاهلية الضيقة والفكرة الاسلامية المتوازنة ؛ جاء عنوان البحث: (مقاييس القِيَم في القرآن الكريم بين الجاهلية والاسلام) فاقتضى أن يتضمن توطئة ومبحثين ثم خاتمة :

المبحث الأول: تعريف المقاييس والقيم لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف المقاييس لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف القيم لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: المقارنة بين مقاييس القيم في الجاهلية والاسلام.

المطلب الاول: قيمة الايمان.

المطلب الثاني: قيمة الغنى والمال.

المطلب الثالث: قيمة الحكم والسلطان.

المطلب الرابع: قيمة العلم.

ثم انتهى البحث بخاتمة بيّنت أهم النتائج المستوحاة منه.

المبحث الأول
تعريف المقاييس والقيم لغةً واصطلاحاً

المطلب الأول: تعريف المقاييس لغةً واصطلاحاً

أولاً:المقاييس لغة:

المقاييس جمع مقياس والمقياس لغةً المقدار، تقول:« قست الشئ بالشئ: قدرته على مثاله»[١]. « ومنه القِياسُ، وهو تَقديرُ الشَّيء بالشيء، والمقدار مِقْياسٌ. تقول: قَايَسْتُ الأَمْرَينِ مُقايَسَةً وقياساً»[٢]. قال صاحب القاموس:« قاسَهُ، بغَيْرِهِ، وعليه يقيسُهُ قَيْساً وقِياساً واقْتاسَهُ: قَدَّرَهُ على مِثالِهِ فانْقاسَ. والمِقْدارُ: مِقْياسٌ»[٣].

ثانياً:المقاييس اصطلاحاً:

المقياس اصطلاحاً: « مايقاس به الشيء، أي ما يعرف الشيء بالقياس إليه »[٤]. فهو مقدار تعرف به الأشياء.

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م : ٩٦٨/٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م : ٤٠/٥.

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م : ٥٦٩.

(٤) دستور العلماء ، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م : ٢١٥/٣.

المطلب الثاني: تعريف القيم لغةً واصطلاحاً

أولاً:القيم لغة:

القِيَم جمع قيمة وأصلها الواو[١] ، لأنها من مادة (ق و م) ، التي تدل على انتصاب أو عزم، قال ابن منظور[٢] :« والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، و (سمي الثمن قيمة) لأنه يقوم مقام الشيء يقال: كم قامت ناقتك أي كم بلغت، وقد قامت الأمة مائة دينار أي: بلغ قيمتها مائة دينار» [٣].

والقيم مصدر بمعنى الاستقامة [٤].« والاستقامة: الاعتدال. يقال: استقام له الأمر. وقومت الشئ فهو قَويمٌ، أي مُستَقيمٌ. والقوامُ: العَدْلُ.قال تعالى:﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[٥] . وقوامُ الرجل أيضاً: قامَتُهُ وحسن طوله»[٦] .

ولعل أقرب الاستعمالات اللغوية إلى القيم بمعناها السائد الآن هو ما ذكره صاحب القاموس من قولهم: فلان« ما له قيمة: إذا لم يدم على شيء» [٧].

وقول الزمخشري [٨]:«القيمة ثبات الشيء ودوامه» [٩]، وهما يشيران بذلك إلى أن القيمة ترد بمعنى الأمر الثابت الذي يحافظ عليه الإنسان ويستمر في مراعاته [١٠].

---

(١) المراد أن أصلها قِوْمة فقلبت الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها.

(٢) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة. ولد بمصر(٦٣٠هـ) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس. وعاد إلى مصر فتوفى فيها(٧١١هـ). ينظر :الاعلام، الزركلي: ١٠٨/٧.

(٣) لسان العرب: ١٢/ ٥٠٠ ، ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢٣/٥.

(٤) ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٥٠٢.

(٥) الفرقان:آية ٦٧.

(٦) الصحاح تاج اللغة، الجوهري:٢٠١٧/٥.

(٧) القاموس المحيط، الفيروز آبادي:١١٥٢.

(٨) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متفننًا في علوم شتى. ولد بزمخشر من ضواحي خوارزم(٤٦٧هـ)، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة(٥٣٨هـ). وكان معتزلي المذهب.ينظر: الاعلام، الزركلي:١٨٧/٧.

(٩) أساس البلاغة، الزمخشري، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤ هـ : ٥٢٨.

(١٠) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.:١/٧٦-٧٧.

ثانياً:القيم اصطلاحاً:

القيمة هي صفة في شئ تجعله موضع تقدير واحترام. أي أن هذه الصفة تجعل ذلك الشيء مطلوبًا ومرغوبًا فيه، سواءً كانت الرغبة عند شخص واحد، أو عند مجموعة من الأشخاص.

وقد عرفت اصطلاحاً بتعريفات عدّة، واهتم بدراستها أرباب علم النفس، وعلم الاجتماع كل من زاويته ورؤيته، فالقيمة لدى المختصين في علم النفس الاجتماعي هي:

« معيار اجتماعي ذو صيغة انفعالية قوية وعامة، تتصل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة، ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية، ويقيم منها موازين يبرر بها أفعاله، ويتخذها هاديا ومرشدا»[١] .

ولعل أجمع التعاريف وأمنعها قول القائل: القيم عبارة عن« مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه» [٢].

أما القيم الإسلامية فهي:

«حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك»[٣].

---

(١) علم النفس الاجتماعي، فؤاد البهي السيد، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٤ م : ٩٤.

(٢) التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية، محمد إبراهيم كاظم، القاهرة، د. ت. : ١١١.

(٣) علم النفس الاجتماعي، حامد زهران، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧م : ١٣٢.

المبحث الثاني

المقارنة بين مقاييس القيم في الجاهلية و الإسلام

الجاهلية مصطلح قرآني يراد به:«إما الجهل بحقيقة الألوهية وخصائصها، وإما السلوك غير المنضبط بالضوابط الربانية، بعبارة أخرى: عدم اتباع ما أنزل الله»[١].

يقول ابن تيمية في بيان معنى الجهل:« هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم. فإنّ من لم يعلم الحقّ فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً .. وكذلك من عمل بخلاف الحقّ فهو جاهل، وإن علم أنه مخالف للحقّ»[٢] .

فالجاهلية هي:« حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله:﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٣]. هي إذن مقابل معرفة الله، والاهتداء بهدى الله، والحكم بما أنزل الله»[٤].

وهي بهذا المعنى« ليست محددة بزمن معين، ولا مكان معين، ولا قوم معينين. إنما هي تصورات معينة، وسلوك معين، حيثما وجدت فهي الجاهلية، بصرف النظر عن الزّمان والمكان والقوم»[٥].

والقران الكريم لم يقل قط إن العرب كانوا في " جاهلية " لأنهم لا يعرفون الفلك والطبيعة والكيمياء والطب.. أو لأنهم لا يعرفون النظم السياسية.. أو لأنهم خلوا من بعض الفضائل، أو خلوا من " القيم " على الإطلاق! إنما قال لهم إنهم جاهليون لأنهم يحكّمون أهواءهم ويرفضون حكم الله.. وأعطاهم البديل من الجاهلية.. الإسلام. فذلك هو المقياس الذي يقيس به القرآن الحياة البشرية.. وهو المقابل للجاهلية، سواء جاهلية العرب أو أية جاهلية غيرها في التاريخ[١].

---

(١) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م: ١٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دارعالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م:١/٢٥٦- ٢٥٧.

(٣) المائدة: آية ٥٠.

(٤) جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ٧.

(٥) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب: ١٧.

المطلب الأول: قيمة الإيمان

النص القراني يبين لنا أن الناس سلكوا في هذه الدنيا سبيلين مختلفين، سبيل الايمان وسبيل الشيطان، ولكل منهما سمته ورايته، ولكل عمله وغايته، ولكل فكرته وعقيدته، لايجمع بينهما صلة من قرابة أو نسب أو عصبية أو وطن، إلا بالقدر الذي سمح به القران.

وأهل الايمان تجمعهم رابطة الاخوة في الله، مهما بعد الزمن واختلف الجنس وتباينت الاوطان، فالمؤمن يحس أنه واحد من الامة المؤمنة الممتدة في الزمن تحت راية الله، له من جهادهم رصيد، وفي عملهم اسوة، وفي ذكرهم سكينة، ومن حبهم زاد على طول الطريق [٢].

قال الله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [٣].

« بين تعالى حال من يجيء بعدهم بأنه يثني على من سبقه، ويدعو له ابتهاجا بما أتوا، واغتباطا بما عملوا؛ لأنهم بين مهاجر عن أهله وأمواله، محبة في الله ورسوله، وبين محب لمن هاجر، مكرم له، بل مؤثر إياه، مما أشفّ عن قوة الإيمان، والإخلاص في تدعيم روابط الإيقان، هذا هو الظاهر من نظم الآيات الكريمة، وذوق سوقها» [٤].

وبهذا غلّق القران أبواب العلائق جميعاً، إلا ماكان منها قائما على أساس

---

(١) ينظر: جاهلية القرن العشرين، محمد قطب:٧- ٨.

(٢) ينظر:السلام العالمي في الاسلام،سيد قطب، دار الشروق،القاهرة، ط١٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م:١٠٦-١٠٧.

(٣) الحشر:آية ١٠.

(٤) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ: ١٩٠/٩.

الايمان، وجعل من العقيدة صلة أقوى من صلات القرابة والرحم، وجعل من المؤمنين أمة واحدة تجمعهم رابطة الايمان بالله. وعلى أساس هذه القيمة أقام الرسولﷺ مجتمعه الجديد في المدينة، فآخى بين المهاجرين والانصار مؤاخاة كان لها كل حقوق أخوة الدم، فشاطر الانصار إخوانهم المهاجرين دورهم وأموالهم وآثروهم على أنفسهم، ولما التقى الشرك والايمان في معركة بدر، قتل أبوعبيدة بن الجراح أباه، ولم يتردد عمر وحمزة وعلي والحارث في قتل أقربائهم وعشيرتهم من المشركين[١].

وكان لنبي الله نوح عليه السلام ولد في حزب الشيطان أبى أن يركب الفلك في أول الأمر مع المؤمنين، فلما أحس نوح بالخطر على ولده ناداه ليركب حتى لايهلك مع الهالكين﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[٢].

عصى الولد أباه، وآثرالكفر على الايمان فكان مصيره مصير الهالكين، ولكن الوالد تغلبه عاطفته، ويغلبه حبه وشفقته على ولده فلذة كبده، فيتوجه الى ربه بالدعاء﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [٣].

إنه ليس من أهلك! في صراحة ووضوح، رغم أنه ولده من صلبه. ومأأهله إلا الذين آمنوا معه واحتوتهم سفينة النجاة.

قال الرازي [٤]:«هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِبْرَةَ بِقَرَابَةِ الدِّينِ لَا بِقَرَابَةِ النَّسَبِ فَإِنَّ فِي

---

(١) ينظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون – ١٤٢٦ هـ :١٤٢.

(٢) هود:آية ٤٢-٤٣.

(٣) هود:آية ٤٥–٤٦.

(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. ولد في الري بطبرستان سنة(٥٤٤هـ) ، أخذ العلم عن كبار علماء عصره، حتى برع في علوم شتى كالتفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة

هَذِهِ الصُّورَةِ كَانَتْ قَرَابَةُ النَّسَبِ حَاصِلَةً مِنْ أَقْوَى الْوُجُوهِ وَلَكِنْ لَمَّا انْتَفَتْ قَرَابَةُ الدِّينِ لَا جَرَمَ نَفَاهُ اللَّه تَعَالَى بِأَبْلَغِ الْأَلْفَاظِ وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ»[١].

إنه ليس من أهلك! « إن الأهلية أهلية العقيدة أولاً وقبل كل شيء، أما الوشائج وصلات القربى فكلها تتضاءل وتتلاشى إن لم تربطها العقيدة بروابطها المحكمة، وهذا أول ماينبغي أن يعلمه الناس، فضلاً على الأنبياء»[٢].

أمَّا نبي الله إبراهيم عليه السلام فموقفه مختلف، فقد كانت علاقته بأبيه أول الأمر علاقة الابن البار بأبيه، المشفق على مصيره، الطامع في إيمانه، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَاتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾[٣].

« وَفِي قوله يا أَبَتِ تَلَطُّفٌ وَاسْتِدْعَاءٌ بِالنَّسَبِ... وَاسْتَفْهَمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ السَّبَبِ الْحَامِلِ لأبيه على عبادة الصنم وَهُوَ مُنْتَفٍ عَنْهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْإِغْنَاءُ عَنْهُ شَيْئًا تَنْبِيهًا عَلَى شُنْعَةِ الرَّأْيِ وَقُبْحِهِ وَفَسَادِهِ فِي عِبَادَةِ مَنِ انْتَفَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأَوْصَافُ» [٤].

قال الزمخشري:« انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية

وعلم الأصول وغيرها، ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، توفي في هراة سنة(٦٠٦هـ).ينظر :الاعلام: ٣١٣/٦.

(١) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٢٠ هـ :٣٧٥/١٨.

(٢) قصص القران الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠ هـ-٢٠١٠م :١٨٦.

(٣) مريم:آية٤١-٤٥.

(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ: ٢٦٨/٧.

التمييز.. كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق ، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن» [١].

ولكن بالرغم من تلطف إبراهيم مع أبيه في الخطاب، والتزام أقصى حدود الأدب، واستعطافه بأن يسمع منه ويقبل نصحه، ومخاطبته له بـ (ياأبت) ليثير فيه عاطفة الأبوة نحوه ، بالرغم من ذلك أجابه بما أخبرنا الله به ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[٢].

لقد « خاب رجاؤه حين أنكر عليه دعوته ، وحزَّ في نفسه أن يدعوه الى الخير فلا يستجيب دعاءه، وأن يهديه الى الحق فيبرأ منه وينأى عنه »[٣]. لم يعارض إبراهيم أباه بسوء الرد، ولم يستمر معه بالجدال، وإنما ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[٤]. أي أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله [٥].

ولئلا يكون في نفس أحد من المؤمنين حرج من استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه، فقد أوضح حقيقة موقفه، فلما يئس من إسلامه، وتبين له أنه مُصِرٌ على كفره تبرأ

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ: ١٩/٣.

(٢) مريم:آية ٤٦.

(٣) قصص القران، محمد أحمد جاد المولى، تحقيق: قاسم محمد، مكتبة دار الفجر، دمشق، الطبعة الثانية،١٤٣١ هـ- ٢٠١٠م : ٥٧.

(٤) مريم:آية ٤٧-٤٨.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م:١١١/١١، محاسن التأويل، القاسمي:١٠١/٧، المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة، د.عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م :١٩٦/١-١٩٧.

منه:﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[١].« فصلة الدم رأيناها تتلاشى عند إبراهيم عليه السلام وهو يتبرأ من أبيه »[٢].

وامرأة فرعون وهي زوجة ملكٍ من أكبر ملوك الأرض تعيش في أعظم قصور مصر، وفي بعض ماكان لديها من مظاهر الملك والجاه والمتاع غواية وإغراء وفتنة، ولكنها آمنت؛ فهان في عينها الملك وكل مايتصل بزوجها الكافر، فتبرأت منه ومن عمله ومن قومه، واستعلت بإيمانها على كل مافي الحياة الدنيا من متاع، وتوجه قلبها الى الله، وتعلق بما عنده من نعيم؛ فخلد القرآن ذكرها وجعلها مثلاً باقياً للإيمان والمؤمنين[٣]:﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

ثمرة الكلام:

الحقيقة الضخمة الخالدة، التي يرسي قواعدها القرآن ويقرها في الحياة، ويربي على أساسها الأمة المؤمنة، أنه لا أبوة ولا قرابة ولا زوجية إلا على أساس الإيمان. فالأهلية أهلية العقيدة أولاً وقبل كل شيء، أما الوشائج وصلات القربى فكلها تتضاءل وتتلاشى إن لم تربطها العقيدة بروابطها المحكمة.

---

(١) التوبة:آية ١١٤.

(٢) قصص القران، فضل حسن عباس:٣٣٥.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م : ٤٩٩/٢٣، إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م :١٤٤/١-١٤٥.

(٤) التحريم: آية ١١.

المطلب الثاني: قيمة الغنى والمال

المجتمع الجاهلي كان مجتمعاً مختل الموازين، فبالرغم من احتوائه على قيم ايجابية نضدها الاسلام من الأغراض الدنيوية ومنحها بعداً إيمانيا كالكرم والوفاء والمروءة ونحوها؛ لكن تقدير الانسان فيه كان بما تحوي خزائنه من مال، ومايستند إليه من قوة ومنعة، وما يحتمي به من عصبية وجوار.

« وقد كان القرآن يخاطب في مكة أناسا- يوجد أمثالهم في كل جاهلية تفقد اتصالها بعالم أرفع من الأرض وأوسع- أناسا ذلك ظنهم بربهم في البسط والقبض. وذلك تقديرهم لقيم الناس في الأرض. ذلك أن المال والجاه عندهم كل شيء. وليس وراءهما مقياس! ومن ثم كان تكالبهم على المال عظيما، وحبهم له حبا طاغيا، مما يورثهم شراهة وطمعا. كما يورثهم حرصا وشحا» [١].

لقد جاء الاسلام ليقضي على فوارق الجاهلية ويسوي بين الناس أمام الله، فليس هناك فرد أفضل بماله من فرد، ولا إنسان أعظم بنسبه وعصبيته من إنسان، فلا تفاضل بمال ولاجاه ولا لون ولاجنس، الناس كلهم لآدم وآدم من تراب [٢]،﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣].

طغى سادة مكة وتعالَوا على الناس بالباطل، وجاء بعضهم الى الرسول ﷺ في العهد المكي، تنتفخ أوداجهم كبراً، وتمتلئ قلوبهم غطرسة، وطلبوا منه أن ينحي فقراء المؤمنين عن مجلسه حتى يستطيعوا أن يجلسو إليه ويستمعوا منه، وكان الرسول ﷺ حريصاً على هدايتهم، طامعاً في إسلامهم، فكأنما وقع في نفسه شيء مما

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر - ١٤١٢ هـ :٦/٣٩٠٥.

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري :٤/٣٧٥.

(٣) الحجرات:آية ١٣.

يطلبون[١]، فنزلت:﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [٢].

هؤلاء السادة الذين يتعالون على خلق الله بقيم زائفة، ليس لدين الله بهم حاجة، فلو أرادوا الاسلام لطامنوا من كبريائهم، فلابد من مواجهتهم بالحق، فمن اهتدى فقد عزّ بالإيمان، ومن ضل فله هوان الدنيا والآخرة [٣].﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٤].

وصحح الاسلام الفكرة عن الغنى والمال حتى لايفتتن به مؤمن ولايضل أحد بسببه، فقد ظن الناس أن الله يبسط الرزق لعبد من خلقه لمكانته عنده، فإذا قَدَر عليه رزقه فقد أهانه، ويرى الغني في ماله آية الرضى، ويحسب الفقير أن فقره رمز الهوان [٥]. وكلاهما مخطئ في حساب القرآن، فكلاهما في محنة، وكلاهما في ابتلاء. فالغني ممتحن بماله وثروته، هل يقوم بحق الله بالشكر وبحق خلقه بالعطاء والبذل؟.والفقير ممتحن بفقره، هل يصبر على ضيقه وحرمانه، ويعتز بعقيدته وإيمانه بغير ذلة ولاسخط؟ [٦].« فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ يُوَسِّعُ الرِّزْقَ وَيَبْسُطُ النِّعَمَ لِلْإِنْسَانِ لَا لِكَرَامَتِهِ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَيْهِ لَا لِإِهَانَتِهِ، بَلْ لِلِاخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ» [٧]، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية،١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م :١٥٢/٥.

(٢) الكهف:آية ٢٨.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي:٤٥٨/٢١.

(٤) الكهف:آية ٢٩.

(٥) ينظر: تفسير القران العظيم، ابن كثير:٣٩٨/٨.

(٦) ينظر: في ظلال القران، سيد قطب:٣٩٠٥/٦.

(٧) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٤ هـ : ٥٣٤/٥.

فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ(١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾[١] .

وبهذه الفكرة الخاطئة عن قيم الحياة، عجب المشركون كيف لم ينزل القرآن على عظيم من عظمائهم ؟ واعترضوا على إرسال الله سبحانه لرسوله ﷺ وهو فقير لم يؤت سعة من المال، ولم يكن زعيماً ولا شيخاً من سادتهم[٢]. ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [٣]، فخلطوا بين قيم الجاهلية التي ماأنزل الله بها من سلطان، وقيم الشرع التي نزل بها الوحي من السماء، فكشف لهم القرآن زهادة قيمهم وهوانها على الله، وأبان لهم أنها مبذولة لشر خلق الله [٤].

وتربية للمؤمنين الذين يرون أنفسهم في عسر وضيق وشرار الخلق في سعة واستعلاء، وجه قلوبهم لما يدخره لهم في الآخرة من نعيم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٥].«أي ولولا الخوف وكراهة أن يكون الناس كلهم على ملّة الكفر، ميلا إلى الدنيا وزخرفها، فلا يبقى في الأرض مؤمن، لأعطينا الكفار ثروات طائلة.. لهوان الدنيا عند الله تعالى.. وليس كل ذلك إلّا شيئا يتمتع به تمتعا قليلا في الدنيا، لأنها زائلة قصيرة الأجل، والآخرة بما فيها من أنواع النّعيم والجنان هي لمن اتّقى » [٦].

---

(١) الفجر:آية ١٥-١٨.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م : ٢٥٤/١٧.

(٣) الزخرف:آية ٣١.

(٤) ينظر: في ظلال القران، سيد قطب:٣١٨٦/٥.

(٥) الزخرف:آية ٣٣-٣٥.

(٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، دمشق، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ:١٤٦/٢٥.

وليست هذه تربية على الزهد أو توجيهاً الى اعتزال الحياة، ولكنها تصحيح للقيم وتسام بالنفس، والارتفاع بها فوق مستوى الفتن والشهوات، حتى لا يفسدها فقر أو حرمان، أو يطغيها ثراء أو متاع، أو يحول بينها وبين عقيدتها عرض أو جاه، فالقيمة الصحيحة في الحياة عند الله هي الإيمان والعمل، أما المال والبنون فهما زينة وليسا قيمة[١] ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [٢].

ولنا في قارون آية، كان من قوم موسى عليه السلام « وقد آتاه الله بسطةً في العيش، وسعة في الرزق، وكثرة في الأموال، فاجتمعت له أسباب السعادة، وفاز من الدنيا بنصيب لايظفر به إلا قليل... والمال منذ الأزل زينة الدنيا وبهجتها، وأساس الحياة وقوامها، ومن استحوذ عليه طغى وتكبر، واغتر وتجبر، وظن أن أحداً لن يقدر عليه، وخُيِّل إليه أن الناس جميعاً من طينة غير طينته، أو أنهم ما خلقوا إلا مسخرين له..فبغى على قومه، وفرض سلطانه عليهم، وسامهم بطشه وجبروته »[٣].

ولندع القرآن يتكلم عن قصته ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) ﴾ [٤].

« تجيء قصة قارون لتعرض سلطان المال والعلم، وكيف ينتهي بالبوار مع البغي والبطر، والاستكبار على الخلق وجحود نعمة الخالق. وتقرر حقيقة القيم، فترخص من قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيمان والصلاح مع الاعتدال

---

(١) ينظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة،١٣٨٣ هـ:٥/٧١.

(٢) الكهف:آية ٤٦.

(٣) قصص القران، محمد أحمد جاد المولى:١٧٥.

(٤) القصص:آية ٧٦-٧٨.

والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو في الأرض ولا فساد»[١].

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)﴾ [٢] .

« لقد أعطى الله تعالى قارون مالاً كثيراً، ولم يكن ذلك العطاء دليلاً على رضا الله عنه، وقد تجلت هذه الحقيقة لأولئك الذين تمنوا منزلة قارون، عندما خسف الله به وبداره الأرض»[٣].

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤].

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين يقومون الأشياء بقيمتها الحقيقية « فلا يقوم في نفوسهم خاطر الاستعلاء بأنفسهم لأنفسهم، ولا يهجس في قلوبهم الاعتزاز بذواتهم، والاعتزاز بأشخاصهم وما يتعلق بها. إنما يتوارى شعورهم بأنفسهم ليملأها الشعور بالله، ومنهجه في الحياة.أولئك الذين لا يقيمون لهذه الأرض وأشيائها وأعراضها وقيمها وموازينها حسابا. ولا يبغون فيها كذلك فسادا. أولئك هم الذين جعل الله لهم الدار الآخرة »[٥].

ثمرة الكلام:

إن الاسلام جاء ليقضي على فوارق الجاهلية ويسوي بين الناس أمام الله ، فليس هناك فرد أفضل بماله من فرد ، ولا إنسان أعظم بنسبه وعصبيته من إنسان، فلا تفاضل بمال ولاجاه ولا لون ولا جنس .

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب:٥/٢٧١٠.
(٢) القصص:آية ٧٩-٨٢.
(٣) المستفاد من قصص القرآن:٥٣١.
(٤) القصص:آية ٨٣.
(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب:٥/٢٧١٤.

المطلب الثالث: قيمة الحكم والسلطان

الحكم والسلطان – ممثلان في المُلكِ– قيمة ضخمة من قيم الحياة، إذ له من مظاهر الجاه والزينة والمتاع ، مايصرف النفوس عن تبيان حقيقة رسالته، فتقدسه وتدين له بالطاعة دون اعتبار لفكرته وسلوكه وغايته. ولكن القرآن بين لنا المقاييس الحقيقية للقوى والقيم ، فليست هناك قوة في الوجود مع قوة الله، ولاقيمة في الكون إلا قيمة الإيمان.

يتحدث القرآن عن فرعون باعتباره نموذجاً للملك المستبد الفاسد، فيذكر الصراع الطويل بينه وبين بني إسرائيل، ثم يعرض معركته مع نبي الله موسى عليه السلام. لقد لجأ فرعون الى اسلوب حقير لإبادتهم ليس له في تاريخ البشرية مثيل﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

« إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا، اسْتَكْبَرَ وَتَجَبَّرَ وَتَعَظَّمَ، فِي الْأَرْضِ، أَرْضِ مِصْرَ، وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً، فِرَقًا وَأَصْنَافًا فِي الْخِدْمَةِ وَالتَّسْخِيرِ، يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ، أراد الطائفة بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ فَسَّرَ الِاسْتِضْعَافَ فَقَالَ: يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ. سَمَّى هَذَا اسْتِضْعَافًا لِأَنَّهُمْ عَجَزُوا أو ضعفوا عَنْ دَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» [2].

إنها معركة بين طائفة مؤمنة مستضعفة، وبين طاغية متسلط يملك جميع أسباب القوة والجبروت، فتعمل القوة الوحيدة في الكون على نصر القيمة الحقيقية في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ

---

(1) القصص:آية ٤.

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ : ٥٢١/٣.

أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[١].

﴿ وَنُرِيدُ﴾« جئ بصيغة المضارع في حكاية إرادة مضت لاستحضار ذلك الوقت كأنه في الحال؛ لأن المعنى أن فرعون يطغى عليهم والله يريد من ذلك الوقت إبطال عمله وجعلهم أمة عظيمة» [٢]. فحكمته ومشيئته وقدرته قضت أن يَمُنَّ على بني إسرائيل ويجعلهم ملوكًا وولاة.

« إن الله تعالى من سننه الجارية في الأمم والشعوب والمجتمعات والدول إذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه، وأتى به شيئًا فشيئًا بالتدرج لا دفعة واحدة، فعندما وصل الظلم إلى أقصى منتهاه، ووصل الاستضعاف إلى أسفل نقطة ممكنة، كانت تلك النقطة بداية التمكين لبنى إسرائيل»[٣].

وبدأت قصة التمكين وإنفاذ مشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ بالاهتمام بالرضيع في قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٤]. صنع الله موسى على عينه ليكون لهم رسولاً وزعيماً ومحرراً، وتولاه بالرعاية والحفظ منذ ولادته، فحفظه وهو طفل رضيع، وأدخله قصر عدوه ليتربى فيه، وألقى محبته في قلب زوجته، ونجاه من مصر وكفله في مدين حيث تأهل بها وأكمل تربيته[٥].

---

(١) القصص:آية ٥-٦.

(٢) التحرير والتنوير« تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣)، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤م :٢٠/٧٠.

(٣) فقه النصر والتمكين في القران الكريم، د. محمد علي الصلابي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م :٥٠.

(٤) القصص:آية ٧.

(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري: ١٨/٣٠٢-٣٠٣.

يقول ابن كثير [١]:« أَرَادَ فِرْعَوْنُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ أَنْ يَنْجُوَ مِنْ مُوسَى، فَمَا نَفَعَهُ ذَلِكَ مَعَ قَدَر الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يُخَالَفُ أَمْرُهُ الْقَدَرِيُّ، بَلْ نَفَذَ حُكْمُهُ وَجَرَى قَلَمُهُ فِي القِدَم بِأَنْ يَكُونَ إِهْلَاكُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدَيْهِ، بَلْ يَكُونُ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي احْتَرَزْتَ مِنْ وُجُودِهِ، وَقَتَلْتَ بِسَبَبِهِ أُلُوفًا مِنَ الْوِلْدَانِ إِنَّمَا مَنْشَؤُهُ وَمُرَبَّاهُ عَلَى فِرَاشِكَ، وَفِي دَارِكَ، وَغِذَاؤُهُ مِنْ طَعَامِكَ، وَأَنْتَ تُرَبِّيهِ وَتُدَلِّلُهُ وَتَتَفَدَّاهُ،وَحَتْفُكَ، وَهَلَاكُكَ وَهَلَاكُ جُنُودِكَ عَلَى يَدَيْهِ، لِتَعْلَمَ أَنَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَا هُوَ الْقَادِرُ الْغَالِبُ الْعَظِيمُ، الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الْمِحَالِ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ» [٢].

ثم كلمه الله في طريق عودته، واختاره لرسالته ، وزوده بالمعجزات والآيات، وأمده بأخيه هارون وزيرا. فلما جاء فرعون، ودعاه الى الله تبجَّح وهدد ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾[٣].

« وهذا من فرعون إفلاس في الحجة، ولو كان عنده رَدٌّ لما يقوله موسى لردّ عليه، ولَقرع الحجة بالحجة، لكنه تقوَّى على خَصْمه بأن هدده بالسجن والإبعاد ، وكان المسجون عندهم يظل في السجن حتى الموت» [٤].

وقاس فرعون بمقاييس الدنيا وقيمها بينه وبين نبي الله موسى عليه السلام، بين الملك والرسالة، بين زينته ومتاعه وتجرد نبي الله موسى عليه السلام لدعوته: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة (٧٠١ هـ) ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق سنة (٧٧٤هـ). تناقل الناس تصانيفه في حياته.ينظر: الاعلام: ٣٢٠/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير:٢٢١/٦.

(٣) الشعراء:آية ٢٩.

(٤) تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧ م : ١٠٥٥٩/١٧.

مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[١].

على هذه القيم الدنيوية، وبتلك المقاييس الجاهلية جمع فرعون عظماء قومه، ونادى فيهم بعد أن خشي إيمانهم بموسى « يا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ بحيث لا ينازعني في ذلك منازع، ولا يخالفني في ذلك مخالف، وفضلا عن ذلك فإن هذه الأنهار التي ترونها متفرعة من النيل تجري تحت قدمي، أو من تحت قصري.أَفَلا تُبْصِرُونَ ذلك، وتستدلون به على قوة أمري، وسعة ملكي، وعظم شأني.. بل أنا خير من هذا الذي هو فقير وليس صاحب ملك أو سطوة أو مال» [٢].

بهذا الاستخفاف واجه فرعون قومه، استخف عقولهم ؛ فلعب بها، وهذا شأن كل رعية ضعيفة، وهذا مايجعل الشعوب تنحدر فتستمرئ الذل، ومرجع ذلك كله الفسق والخروج عن منهج الله[٣].

فلجأ نبي الله موسى عليه السلام الى ملاذه ومولاه، لجأ الى ربه يجأر إليه بالشكوى من هذه القيم الزائفة التي آتاها فرعون وملأه فأضلوا بها عباده وحالوا بينهم وبين الإيمان، ومَهَّد « لِدُعَائِهِ تَمْهِيدًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا سَأَلَهُ مِنَ اللَّهِ لِزَجْرِ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّمَا هُوَ لِمَصْلَحَةِ الدِّينِ لَا لِلِانْتِقَامِ مِنْهُ لِقَوْمِهِ وَلِنَفْسِهِ » [٤]:﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[٥].« ذَلِكَ بِأَنَّ الزِّينَةَ

---

(١) الزخرف:آية ٥١-٥٤.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م: ٨٨/١٣.

(٣) ينظر: قصص القرآن، فضل حسن عباس:٥٤٩.

(٤) التحرير والتنوير:٢٦٨/١١.

(٥) يونس:آية ٨٨.

سَبَبُ الْكِبْرِ وَالْخُيَلَاءِ وَالطُّغْيَانِ عَلَى النَّاسِ، وَكَثْرَةَ الْأَمْوَالِ تُمَكِّنُهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَتُخْضِعُ رِقَابَ النَّاسِ لَهُمْ» [١].

وأجاب الله دعوة موسى، فأخرج فرعون وملأه وجنده الى البحر ليلقوا فيه مصارعهم [٢]. ذهب الطاغية وملؤه وجنده، وخلفوا وراءهم قيمهم الزائفة، ونعمهم الزائلة، ومأأغنى عنهم حولهم ولا قوتهم من الله شيئا:﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[٣].

« وهذه الصورة التي يصورها القرآن الكريم لمن يطغيهم الغنى، ويفتنهم الجاه والسلطان، ويفسد عليهم تفكيرهم، ويطمس على أبصارهم وبصائرهم- هذه الصورة تقابلها صورة أخرى للمال، حين يقع فى يد من يؤمن بالله، ويلتزم حدوده، إذ المال هنا، قوة تعين على قضاء حقوق الله، وأداء ما افترض على عباده من عبادات وطاعات» [٤].

ثمرة الكلام:

القرآن الكريم بيّن المقاييس الحقيقية للقوى والقيم ، فليس هناك قوة في الوجود مع قوة الله، ولا قيمة في الكون إلا قيمة الإيمان. والمُلك وسيلة لتطبيق منهج الله وتحقيق العدل بين الناس،لاغاية للاستعلاء والظلم والإفساد بين الناس.

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠ م:٣٨٦/١١.

(٢) ينظر الكشاف:٣٦٦/٢.

(٣) الدخان:٢٥-٢٩.

(٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة: ١٠٦٩/٦.

المطلب الرابع: قيمة العلم

العلم قيمة ضخمة وهبة عظيمة وسر كبير من أسرار تكوين الانسان، فقد خلقه الله سبحانه وكونه بحيث يتجاوب بعقله وتفكيره مع كل مظاهر الحياة على الأرض ومع كل آيات الله في الكون، وبهذا أصبح أهلاً لرسالة الإستخلاف في الأرض، يعمرها ويرقى بالحياة فيها على هدى ربه ووفق نهجه وتوجيهه [١]. وبهذا يصبح العلم عبادة أو فريضة، وتصبح دور العلم والمعاهد والمعامل كالمساجد والمحاريب.

قال ابن القيم[٢]: "إن العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة ما لا يرفعه المُلْك ولا المال ولا غيرهما، فالعلم يزيد الشريف شرفاً ويرفع العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك" [٣].

وبياناً لقيمة العلم حكى القرآن قصة بني إسرائيل الذين بعث الله لهم طالوت ملكاً، فاعترضوا على هذا الإختيار بأنه لم يؤت سعة من المال، فصحح الله لهم القيم، ودلهم على تفاهة مايعظمون من مال كونه لايرفع إنساناً ولايؤهل لملك [٤]:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي

---

(١) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي ، سورية – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م : ١/٦-٧.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. ولد بدمشق سنة(٦٩١ هـ) تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، توفي في دمشق(٧٥١ هـ). ينظر:الاعلام: ٥٦/٦.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت: ١٦٤/١.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي:٥٠٤/٦-٥٠٥.

الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

« لقد تناسوا أن القضية التي طلبوها من نبيهم تحتاج إلى صفتين: رجل جسيم ورجل عليم، والله اختار لهم طالوت رجلا جسيماً وعليما معا...والبسطة في العلم والجسم هي المؤهلات التي تناسب المهمة التي أرادوا من أجلها ملكا لهم. ولذلك يقول الحق: ﴿والله يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ﴾ وكأن الحق يقول لهم: لا تظنوا أنكم أنتم الذين ترشحون لنا الملك المناسب، يكفيكم أنكم طلبتم أن أرسل لكم ملكا فاتركوني بمقاييسي اختر الملك المناسب»[٢].

والله قد رفع قيمة العلم فوق قيمة الملك، فقد توجه نبي الله داود عليه السلام ونبي الله سليمان عليه السلام الى ربهما بالحمد لتفضيلهما على كثير من عباده المؤمنين بنعمة العلم، ولم يذكرا ما آتاهما من ملك على ما كان عليه من عظمة واتساع :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

« وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم. وأجزل القسم، وأن من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباد الله، ... وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم، منها: أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم. وفيها التذكير بالتواضع ، وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم»[٤].

والعلماء لما يرون من آثار قدرة الله، ولما يفهمون من علمه وتدبيره وعظمته هم أعرف الناس به وأخشاهم له، وأحرصهم على طاعته ورضاه، فهو سبحانه وليُّ نعمهم ومصدر علمهم، وهو الذي وهبهم العقل والتفكير، ورفعهم فوق كثير من خلقه

---

(١) البقرة:آية ٢٤٧.

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي:١٠٤٧/٢.

(٣) النمل:آية ١٥.

(٤) الكشاف:٣٥٣/٣.

وجعلهم هداة وقادة [١]، قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٢].فإذا فسدوا وزاغوا بعلمهم عن أصله، وانحرفوا به عن نهجه، وأصبحوا دعاة إلحاد وفجور، يقطعون على المؤمن الطريق الى الله ، فقد نكثوا عهدهم، وخانوا أمانتهم، وتخلوا عن رسالتهم، وكفروا بنعمة ربهم، وبعدوا عن إنسانيتهم.

وضرب القرآن مثلاً لعالم إنسلخ عن آيات الله، فصوره في صورة إنسان هابط ممسوخ في صورة حيوان، قال تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ(١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

«هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ عَلَى مَاأَيَّدَهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ ، وَهُوَ مَثَلُ مَنْ آتَاهُ اللهُ آيَاتَهُ فَكَانَ عَالِمًا بِهَا حَافِظًا لِقَوَاعِدِهَا وَأَحْكَامِهَا، قَادِرًا عَلَى بَيَانِهَا وَالْجَدَلِ بِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ الْعَمَلَ مَعَ الْعِلْمِ، بَلْ كَانَ عَمَلُهُ مُخَالِفًا لِعِلْمِهِ تَمَامَ الْمُخَالَفَةِ، فَسُلِبَهَا; لِأَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي لَا يُعْمَلُ بِهِ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَزُولَ، فَأَشْبَهَ الْحَيَّةَ الَّتِي تَنْسَلِخُ مِنْ جِلْدِهَا وَتَخْرُجُ مِنْهُ وَتَتْرُكُهُ عَلَى الْأَرْضِ »[٤].

« وَهَذَا الْمَثَلُ فِي قَوْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ ... فَدَلَّتِ الْآيَةُ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا عَلَى أَلَّا يَغْتَرَّ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ وَلَا بِعِلْمِهِ، إِذْ لَا يَدْرِي بِمَا يُخْتَمُ لَهُ »[٥].

وعلماء اليهود كانوا مثلاً لعلماء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون ، فيأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، واتَّخَذوا من العلم بضاعة، يأكلون به أموال الناس

---

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري:٤٦٢/٢٠، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق:علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ :٣٦٣/١١.

(٢) فاطر:آية ٢٨.

(٣) الأعراف:آية ١٧٥-١٧٦.

(٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا:٣٤٠/٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:٣٢٣/٧.

بالباطل [١]، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٢]. وهم بما يلبسون من مسوح، وبما يدَّعون من علم، وبما يحملون من كتاب، فتنة للناس، لهم في قلوب أتباعهم قيمة، ولهم في الحياة شأن واعتبار [٣].

وعلماء السوء هم آفة المجتمعات في كل زمان ومكان، فوظيفة العلماء في الحياة أنهم هداة البشرية في طريقها الى الله، وهم حملة مشاعل الهدى والنور، وهم حماة المثل والأخلاق ، فإذا فسدوا أصبحوا فتنة كبيرة ، وفسد بفسادهم خلق كثير، ولذلك وضع القران من قيمتهم وحقّر من شأنهم وسلكهم في زمرة الأنعام [٤]:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥].

ثمرة الكلام:

العلم شرف عظيم وقيمة كبيرة ،من أ وتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله، والعلماء هم أعرف الناس بالله وأخشاهم له، جعلهم الله هداة وقادة، فإذا فسدوا أصبحوا فتنة كبيرة، وفسد بفسادهم خلق كثير.

الخاتمة

---

(١) ينظر: تفسير القران العظيم، ابن كثير: ١٣٨/٤.

(٢) التوبة:آية ٣٤.

(٣) ينظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة :٣٢٩٠/٦.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م: ٨٦٢.

(٥) الجمعة:آية ٥.

في خاتمة هذا البحث نذكر أهم النتائج التي يمكن استخلاصها منه:

١-أهمية القيم في حياة الأمة وأنها من أهم ركائز بناء الفرد والمجتمع المسلم.

٢-القران الكريم بنماذجه الثرية، ودلالاته العميقة، بيّن لنا البون الشاسع بين قيم الجاهلية وقيم الاسلام الحنيف.

٣-قيمة الايمان هي الحقيقة الخالدة التي يرسي قواعدها القران ويقرها في الحياة، فلا أبوة ولا قرابة ولا زوجية إلا على أساسها.

٤-ليس هناك قوة في الوجود مع قوة الله ، ولا قيمة في الكون إلا قيمة الإيمان.

٥-الغنى والمال ليسا مقياساً للتفاضل بين الناس، فليس هناك فرد أفضل بماله من فرد، ولا إنسان أعظم بنسبه وعصبيته من إنسان.

٦-قيمة الحكم والسلطان تتجلى في تحقيق منهج الله والعدل، لا للظلم والإفساد بين الناس.

٧-وظيفة العلماء أنهم هداة البشرية ، فإذا فسدوا أصبحوا فتنة، وفسد بفسادهم خلق كثير.

٨-القيم الجاهلية قيم دنيوية قائمة على أساس المصالح الضيقة لأفرادها، ولا تصلح أن تكون أساساً لبناء الأمة المسلمة إلا ما وافق منها قيم الشرع الحنيف، وأقرها الاسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القران الكريم

١- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

٢- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م .

٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٥- التحرير والتنوير« تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣) الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

٦- التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية، محمد إبراهيم كاظم، القاهرة، د. ت.

٧- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

٨- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى:

١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧ م.

٩- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م.

١٠- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١١- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.

١٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ.

١٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

١٥- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠ م.

١٦- الجامع لأحكام القرآن ،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة،الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٧- جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٨- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٩- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، تحقيق:علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢١- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٢- السلام العالمي في الاسلام، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٢٤- علم النفس الاجتماعي، حامد زهران، عالم الكتب، القاهرة،١٩٧٧ م.

٢٥- علم النفس الاجتماعي، فؤاد البهي السيد، دارالفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤ م.

٢٦- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى : ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق،

بيروت،الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ.

٢٧- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي ، دار الفكر – دمشق، ط٢٥، ١٤٢٦ هـ.

٢٨- فقه النصر والتمكين في القران الكريم، د. علي محمد الصلابي، المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت، ط١٤٢٧،١ هـ – ٢٠٠٦م.

٢٩- في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت- القاهرة، ط١٧ ،١٤١٢ هـ.

٣٠- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥ م.

٣١- قصص القران الكريم، د. فضل حسن عباس، دار النفائس الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠ هـ-٢٠١٠م.

٣٢- قصص القران، محمد أحمد جاد المولى، تحقيق:قاسم محمد، مكتبة دار الفجر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠م.

٣٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٣٤- لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، د.ت.

٣٥- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٣٦- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق

القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)،تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٧- المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة، د.عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ–٢٠٠٠م.

٣٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٩- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٠- مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٢٠ هـ.

٤١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٢- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي ، سورية – دمشق، ط٢، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

٤٣- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة ، جدة الطبعة الرابعة.